

"حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب"

بقلم: شكري حبيبي

بعد أن قام الرب يسوع المسيح من بين الأموات غالبا منتصرا، كان لابد له أن يفتح أذهان تلاميذه، لكي يدركوا حقيقة وأبعاد ما حصل. فلقد تسارعت الأحداث وبشكل مخيف، إذ أُلقي القبض على المسيح، وتمّت محاكمته أمام الوالي الروماني بيلاطس البنطي، ثم حُكّم عليه بالموت صليبا. وخلال ساعات صُلب المسيح ومات ودُفن، لكنه فاجأ تلاميذه بقيامته الظاهرة في فجر اليوم الثالث. وبالرغم من أن الرب يسوع كان قد أخبر تلاميذه عمّا سيحصل له بالضبط، وأنه سيُلقي القبض عليه ويموت، وأنه سيقوم في اليوم الثالث، على الرغم من كل ذلك، فقد كانت الأحداث المتتالية والمتسارعة صدمة قاسية ومؤلمة بالنسبة لهم. أما سبب هذه الصدمة فيعود بشكل أساسي إلى مفهومهم الخاطئ عمّا سيقوم به المسيح المسمي المنتظر، وإلى توقعاتهم غير الصحيحة لملكوت الله. فالمسيح بمفهومهم عندما يأتي، سيحرر اليهود من المستعمر الروماني، ويؤسس مملكة الحق والبر والسلام، يكون فيها اليهود هم الأسياد، والمسيح ملكاً عليهم إلى الأبد.

لهذا لم يكن غريبا أن ينتهر الرسول بطرس الرب يسوع المسيح، عندما أخبر تلاميذه أنه ينبغي له أن يتألم كثيرا من رؤساء الكهنة ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم، قائلا له: حاشاك يا رب. لا يكون لك هذا. فما كان من الرب يسوع إلا أن أجابه قائلا: اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس. (راجع متى ١٦: ٢١-٢٣) ولنلاحظ قول الرب يسوع لبطرس، أنه لا يهتم بما لله لكن بما للناس. إن اهتمام الله هو اهتمام روعي، يهدف لخلص النفس البشرية، بينما اهتمام الناس هو اهتمام أرضي، يهدف لأموال دنيوية مادية، ترضي رغبات البشر و مطامحهم ، لا بل مطامعهم، وليس الله.

لعل أفضل من عبّر عن صدمة التلاميذ، ومفهومهم الخاطئ، وتوقعاتهم غير الصحيحة لملكوت الله، هما تلميذا عمواس. إذ تحدثا عن المسيح، وقبل أن يعرفا أنه هو السائر معهم، أنه "كان انسانا نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب. كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه. ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل." (لوقا ٢٤: ١٩-٢١) أو بتعبير آخر كنا نرجو أنه هو المزمع أن يحرر إسرائيل، ويقوم الملكوت الأرضي الموعود به. لكن ماذا كانت إجابة المسيح لتلميذي عمواس؟ قال لهما: أيها الغيبان والبطيئان القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب." (لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧)

تعتبر إجابة المسيح هذه المعبرة، من أبلغ وأعمق ما تكلم به المسيح. فهو أولاً دحض مفهوم التلاميذ الخاطيء عنه، وتوقعاتهم غير الصحيحة عن ملكوت الله. "أيها الغيبان والبطيئنا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء" فالأنبياء جميعا بالرغم مما قد يبدو من كلامهم، لم يكن لديهم هذا المفهوم الخاطيء، ولا هذا التوقع غير الصحيح. والمسيح ثانياً: كشف لتلميذي عمواس عن الهدف الحقيقي من مجيئه، هذا المجيء المنتبأ عنه في جميع الأنبياء. وكشف لهما أيضاً عن المفهوم الصحيح لملكوت الله. "أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده." لقد كان الهدف من مجيء المسيح إذن هو أن يقوم بعمل الفداء، ليحرر الإنسان من عبودية الخطية، وليعتقه من سلطان الشيطان، وليدحر الموت عدو الإنسان اللدود. وليس هذا فحسب، بل ليبدأ ملكوت الله. وهو ما عبر عنه المسيح بالقول: "ويدخل إلى مجده" فماذا قصد المسيح بهذا التعبير البليغ؟

لكي نفهم معنى هذا التعبير، علينا أن نعود إلى نبوة النبي دانيال، عندما تتبأ عن قيامة المسيح وصعوده حيا كابن للإنسان إلى السماء. كتب النبي دانيال قائلاً: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض." (دانيال ٧: ١٣ و١٤) فبإكماله عمل الفداء على الصليب كابن للإنسان، وقيامته الظاهرة وصعوده حيا إلى السماء، دخل المسيح إلى مجده. إذ جلس عن يمين عرش الله الأب، أخذ السلطان والمجد والملكوت، لكي تتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. وسلطانه هذا سلطان أبدي، أما ملكوته فهو لن ينقرض. وبتعبير آخر لقد بدأ المسيح بدخوله إلى المجد ملكوت الله، بحسب خطة الله الموضوعية منذ الأزل. ولقد عبّر المسيح نفسه عن هذه الحقيقة عندما أجاب رئيس الكهنة، الذي سأله قائلاً: "أستخلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع أنت قلت. وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وأتيا على سحب السماء." (متى ٢٦: ٦٣ و٦٤) ولنلاحظ قول الرب يسوع المسيح من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وأتيا على سحب السماء. وكان على أثر جواب المسيح هذا، أن مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً قد جدّف، ما حاجتنا بعد إلى شهود.

نعود إلى حديث المسيح مع تلميذي عمواس، فنجد أن المسيح لم يقتصر كلامه على هذا التوضيح الهام، لكنه تابع تفسيره لهما مبتدأً من موسى ومن جميع الأنبياء، عن الأمور المختصة به في جميع الكتب. أي كشف لهما المعنى الحقيقي والمفهوم الصحيح، لكل ما ورد عنه وتنبئ به في أسفار العهد القديم.

ويخبرنا البشير لوقا أنه في لقاء آخر للمسيح مع التلاميذ جميعاً، قال لهم "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير." (لوقا ٤٤: ٢٤) لنلاحظ إصرار المسيح أنه قد تمّ جميع ما كُتب عنه، في كل أسفار العهد القديم. وعندها كان لا بد للمسيح أن يفتح أذهان تلاميذه، لكي يدركوا حقيقة وأبعاد ما حصل. "حينئذ

فتح ذهنهم ليفهموا الكتب. وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث. وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من اورشليم. وأنتم شهود لذلك. وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة اورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى. (لوقا ٢٤: ٤٥-٤٩) لم يكن سهلاً على تلاميذ المسيح اليهود، أن يدركوا كل هذه الحقائق الروحية الهامة، التي تخالف بالكلية مفاهيمهم الأرضية الضيقة. لهذا نجد أن المسيح فتح أذهانهم، لكي يستوعبوا ومن أسفار العهد القديم التي يؤمنون بها، المعنى الحقيقي لمجيئه، والمفهوم الصحيح لملكوت الله. إن خطة الله لخلاص الإنسان وبدء ملكوت الله، عن طريق موت المسيح الكفاري وقيامته الظاهرة، ودخوله إلى السماء ممجداً، لم تكن معدة منذ الأزل فحسب، بل قد أعلن الله عنها ومن خلال كل أسفار العهد القديم، بطريقة ما أو أخرى. فالله لم يبدل خطته أو يؤجلها إلى زمن آخر، كما يظن البعض.

ومع ذلك لم يستطع التلاميذ إدراك هذه الحقائق الروحية، ومعاني العهد الجديد الذي أقامه المسيح معهم، إلا بعد أن امتلأوا من الروح القدس في يوم الخمسين. وهو ما تؤكد عظات الرسول بطرس، المدونة في سفر أعمال الرسل، وكل رسائل العهد الجديد. ولا بأس أن نقتبس في هذا المجال عددين فقط من إحدى عظات الرسول بطرس، إذ قال: "وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام. أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض." (أعمال ٣: ٢٤ و٢٥)

وماذا عنا نحن اليوم وبعد قيامة المسيح ودخوله إلى مجده بألفي سنة؟ هل مازلنا بحاجة لكي يفتح المسيح أذهاننا حتى نفهم الكتب وندرك المعنى الحقيقي لمجيء المسيح والمفهوم الصحيح لملكوت الله؟